AL-'ABQARI العبقري
USIM
ISSN 2232-0431 / e-ISSN 2504-8422 **VOL. 22 (2), SPECIAL ISSUE, 2020: 127-137**
UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA Journal of Islamic Social Sciences and Humanities
مجلة الثقافة الإسلامية والإنسانية

Submission date: 02/04/2020 Accepted date: 7/07/2020

مسؤولية الإنسان في بناء الحضارة المثلي في القرآن

The Responsibility of Human Being in Building the Ideal Civilization in Perspective the Qur'an

Rochmad, Asep Awaludin
University of Darussalam Gontor (UNIDA)

rochmad@unida.gontor.ac.id

ملخص

أرسل الله سبحانه وتعالى رسولا إلى هذه الإنسانية الشقية ليزيل شقوتها ووضع عنها إصرها والأغلال التي في أعناقها وأنزل عليه كتابا، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وجعل منه معجزة باهرة شاهدة على صدق دعوته مؤيدة لحقية رسالته. فكان القرآن هداية الخلق وحجية الرسل. رسالة الدين الأساسية في هداية البشر تشمل على نشئ الإنسان الكامل وبناء الحضارة العالية. فلذا، كان الإسلام بقرآنه وسنة نبيه حريصا على نقل هؤلاء من همجية البداوة إلى نظام الحضارة والمدنية. والإنسان هو المؤهل المسؤول للقيام بالدور الحضاري المطلوب، معد نفسيا وأخلاقيا وفكريا وعلميا، وكما وردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن مسؤوليات الإنسان لبناء الحضارة. يهدف هذا البحث إلى كشف توجيه القرآن الإنسان إليه مع كونه خليفة في الأرض. فسيقوم هذا البحث على المنهج التحليلي وعلى الدراسة الموضوعية لكشف الآيات القرآنية عن مسؤولية الإنسان في بناء الحضارة. حصل الباحث على النتيجة العلمية وهي أن القرآن قد وضع البيان الشامل عن العناصر الكاملة في بناء الحضارة المثلى من طهارة النفس والأخلاق الكريمة والعقل السليم والعلم والعلم والمعرفة. يرجى من هذا البحث البسيط أن يستفيد المسلمون من تلك النتائج العالية.

الكلمات المفتاحية: القرآن، مسؤولية، الإنسان، الحضارة، المثلى

Abstract

Allah sent prophets and revealed the revelations to eliminate human burden. He will guide people with the Qur'an and the Qur'an is proof of the truth of the prophets. Among the main goals of Islamic teachings is civilization building. Al-Quran and al-hadeeth underlined this point toward humankind as the main actors of this alteration to bring them from the intellectual and moral stagnancy to the dinamization of thought and attitude in achieving the ultimate state of humanity. Both Quran and Hadeeth show mankind the main elements of this alteration; the Soul, character, the mind, and knowledge. This work aimed to elaborate those elements in accord to the main role of mankind as the Chalifa of this world. Applying analitical method in reading the text as well as using the thematic approach to discover the key points from both sources, this work shows that both Quran and hadeeth have clearly stated the exact formulas in building the superior civilization of mankind, namely; Soul purification, character nobility, sound mind and high intellectual capacity. This simple research is intended to benefit Muslims from those valuable values.

Keywords: Responsibility, Humankind, Civilization, Al-Qur'an, Al-Hadits.

المقدمة

إنّ المشكلةَ الأمّ في حياة الإنسان والأمّة هي مشكلة الحضارة، وإنّ حقيقة مشكلة كلّ شعب في جوهرها هي مشكلة حضارته. والحضارة كلمة لها إيقاع قلّاب، ورنّة باهرة، تشدي الأسماع حروفها. والأبلغ من ذلك عندما تقترن بالقرآن الكريم، فتصبح حروفها نورانية وهّاجة بالنور وتزداد الحضارة نضارة.

والقرآن المجيد قد جاء برؤية كونية وحضارية واجتماعية ونفسية. وهو كتاب الله وبيانه، وهو يتلى على مسامع المسلمين صباحا ومساء وفي كل مناسبة، وهذا الكتاب يظل يكرر على مسامع المسلمين كلهم سبل تسخير الله الكون لعباده ويبين لهم الطرق الكفيلة بجعل قيادة الدنيا في أيديهم، وتقصيهم عن مستوى القيادة في عمارة الأرض، ثم يحذرهم من الاتجاه إليها، ويهددهم إن تساهلوا فانحرفوا عن الجادة بالوقوع في مغبتها وسوء عقباها.

والمسلمون أحق أمة لقيام هذه الحضارة المثلى تحت ضوء الوحي الإلهي المشحون بالعناصر الكاملة من الجانب المعنوي والجانب المادي لبناء الحضارة. وإذا كان القرآن قد وضع منهجا متكاملا من طهارة النفس والأخلاق الكريمة والعقل السليم والعلم والعمل والمعرفة فمعنى ذلك أنه قد وضع منهجا متكاملا في بناء الحضارة المثلى.

عناصر الحضارة

احتفت المعاجم المختصة بمفردات القرآن الكريم، بكلمة الحضارة؛ فالأصفهاني، ت 503هـ، استعرض الفعل الثلاثي "حضر" وما اشتق منه في القرآن الكريم، وقال": الحَضَر: خلاف البدو، والحِضارة، والحَضارة: السكون بالحَضَر" (al-Asfahani, 1998). والحضارة في اللغة هي الإقامة في الحَضَر، والحَضَر هم من يقيمون في المدُن، وكلمة حَضَر هي عكس كلمة بَداوة، وأوردها ابن منظور، ت 711 هـ، في لسان العرب (Manzur, 1993).

أمّا في الاصطلاح لها تعريفات كثيرة، منها: الصورة الحاضرة التي يبدعها **الإنسان** لما يعتقده في **الكون والحياة**. والبداوة لها حضارتها والريف له حضارته وأهل الحضر لهم حضارتهم. فعناصر الحضارة أو أركانها الأساسية إنما تتمثل في هذه الكليات الثلاثة: الإنسان والحياة والكون. ومن التعريفات الموجودة عن الحضارة تدور حول ثلاثة عناصر المهمة، وهي الإنسان والحياة والكون. وإنما مركز الثقل من قصد بالإنسان أو الكيان الإنساني في هذا المقام عقله وتفكيره ووجدانه. رأى مالك بن نبي: أن دور الأفكار في حضارة ما لا يقتصر على مجرد الزينة والزخرفة، ففي فترة اندماج مجتمع ما في التاريخ يكون للأفكار دور وظيفي، لأن الحضارة هي القدرة على القيام بوظيفة مهمة (Ibn Nabi, 2002). إن حضارة ما، ما هي إلا نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ، ويبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج الأصلي لحضارته، إنه يتحذر في محيط ثقافي أصلي، يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى.

أما الحياة فنقصد بها العمر الذي يتمتع به الإنسان، وإنما المراد هنا ذلك البعد الزمني الذي تنبسط على مساحته كينونة الإنسان وبقائه متمتعا بحياته وفكره. وإنما يعبر عنه بالحياة أو العمر (al-Buti, 1981). ولعل التعبير به أو بالحياة أدق في الدلالة على المعنى المطلوب من كلمة " الزمن". إذ الزمن يدلّ على معنى قائم ومستقل بذاته دون أن يؤخذ بعين الاعتبار أي صلة له بالإنسان.

ونقصد بالكون المكونات المتنوعة المختلفة الخاضعة لتسخير الإنسان. وهو التعبير العلمي الذي تفرضه علينا الدقة المطلوبة في الربط بين الألفاظ ومدلولاتها بدلا من تلك الكلمة العمياء التي لا يستبين لها أي حجم علمي يمكن أن يعتمد عليه وهي الطبيعة، كما أن التبير بكلمة " التراب" لا يقوم هو الآخر مقام الكون أو المكونات بحال، إلا أن تكون من قبيل إطلاق الجزء على الكلي، وبتعبير أدق من إطلاق الجزء على الكلي. ومن الواضح أن الإنسان أهم هذه العناصر الثلاثة وأخطرها، وهو محور العمارة الكونية في هذه الحياة الدنيوية.

الحضارة المثلى والوعي الحضاري

إن نظرة الغربيين إلى الإنسان والعالم تنطوي على خطأ، وقد عنيت حضارة الغرب بالجانب المادي من الحياة والجانب الجسدي والغريزي من الإنسان واللذات العاجلة من الدنيا، فجعلت الدنيا أكبر همها، ولم تجعل لله مكانا مذكورا في فلسفتها ولا للآخرة مجالا في نظامها الفكري والتعليمي، وقد ضاعت السعادة في هذا القرن من حضارة وتقدم الغرب.

فالحضارة المثلى هي التي وصلت الإنسان بالله وربطت الأرض بالسماء وجعلت الدنيا للآخرة ومزجت الروح بالمادة ووازنت بين العقل والقلب وجمعت بين العلم والإيمان وحرصت على السمو الأخلاقي حرصها على الرقي المادي. وكانت بحق حضارية روحية مادية، ميثالية واقعية، ربانية إنسانية، أخلاقية نورانية، فردية جماعمية، كانت حضارة التوازن والوسطية التي قامت عليها أمة وسط، كما وصفه الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُم أُمَّة وَسَطا﴾ [al-Baqarah: 143] (al-Qaradawi, 2002)، يريد الله من المؤمنين أن يعيشوا مادية الحياة بقيم السماء، وهذه وسطية الإسلام، لم يأخذ المادة وحدها والروح وحدها، وإنما أوجد

مادية الحياة محروسة بقيم الساعة. فإن الحضارة الإسلامية ستظل الأرقى بمكوناتها الدينية والثقافية والإنسانية، لأنها قامت على أسس شرعية صحيحة راسخة نقية، تهدف إلى صلاح الناس جميعًا وفلاحهم. ومن لب تعاليم الإسلام هو نقل الإنسان من فهم سطحي بدائي إلى فهم أعمق للكون والحياة، من عقل راقد إلى عقل متحرك، من عقل مقلد تابع إلى عقل متحرر مستقل، من عقل خرافي يتبع الأوهام إلى عقل علمي يتبع البرهان، من عقل متعصب إلى عقل سامح، من عقل مدّع متطاول إلى عقل متواضع، فهذا هو "الوعي الحضاري" أو " الفقه الحضاري" (al-Buti, 1981).

بينما تجلّى أثر النص القرآني بوضوح في إعادة تشكيل العقل، وإرساء أُسس منهجية قويمة للتفكير الصحيح. فبعد نزول القرآن استفاق وعي العقل، وأبصر العالم بمنظور بديل تبدّى فيه الإنسان والكون في صورة مغايرة للصورة الملتبسة التي ظلّ العقل أسيراً لها أحقاباً متمادية، وأصبح هذا الوعي إطاراً لمنهج مختلف في معرفة العالم وصياغة الرؤى والمواقف المحدّدة إزاء مشكلاته وقضاياه. وعلى ضوء هذا الوعي أنجز الإنسان المسلم عناصر ومقوّمات حضارة عظمى قدّمت للبشرية عطاءً هائلاً في شتّى الميادين، وأعادت للعقل المهمّة التي أناطها الله تعالى به.

والوعد القرآني لا يزال قائما لمن تمثّل شرطه المتمثل بلب الحضارة وجوهرها وهو الإيمان بالله والتصور الاعتقادي الصحيح ثم بعد ذلك تتحقق أمنية البشرية بالحضارة السعيدة فلا تطغي ولا تظلم وتقود إلى الهداية: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُم فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [al-Hajj: 41].

البشائر النصّية في مستقبل تمكين الحضارة الإسلامية

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَد مَكَّنَّٰكُم فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُم فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [al-A'raf: 10]، أي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وقد ذكر القرآن الكريم التمكين في معرض المنة على النبي يوسف عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ

٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [Yusuf: 54-56]. والمعنى هنا مكنا له في أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيه بأمره ونهيه. فأخذ التمكين هنا ليوسف بعدا سياسيا على مستوى العام. والتمكين في الأرض أعم من التمكين السابق في بيت العزيز لقد صارت صلاحيته الآن تستغرق القطر المصري كله وإن يوسف لما لم يجعل للشهوات على نفسه تمكنا مكنه ملك مصر(Tawfiq, 2005).

وأفصح القرآن عن ضرورة التمكين للحضارة فقال الله عن الحضارة التي قادها ذو القرنين: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرٗا ٨٣ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ [al-Kahf: 83-85]. فقد تمكنت حضارة ذي القرنين في الأرض وأوتيت أسباب ذلك ولعل من هذه الأسباب مقومات الحضارة وعوامل بقائها ماديا ومعنويا (al-Salabi, 2003).

واستعرض القرآن سلسلة من الحضارات الغابرة التي حازت نعمة التمكين قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ [al-An'am: 6].

والاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح لا على الهدم والإفساد والقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة لا على الظلم والقهر. وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان (Qutub, 2001).

الخلافة كأمانة بناء الحضارة الكبرى

وقصة الإنسان مع الحضارة بدأت من مرحلة استخلاف الإنسان في الأرض، واهتمام القرآن بمسألة استخلاف الإنسان في الأرض يدل على مدى ثقلها في تصميم الهيكل الحضاري للرؤية الإسلامية (Khalil, 1991). وحمل الإنسان الأمانة الثقيلة التي طأطأت الجبال رؤوسها فرقا من حملها، وتناءت الأرض استحياء من أثقالها، ورجفت السموات بعظمتها مشفقة مذهولة وتصدى لها الإنسان قال الله:

﴿إِنَّا عَرَضنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَٱلجِبَالِ فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَهَا وَأَشفَقنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوما جَهُولا ﴾ [al-Ahzab: 72]. والأمانة التي رجف منها الكون وجلا هي أمانة التكليف والقيام بالمهمة الحضارية لبني البشر (al-Razi, 2010).

ولقد هيّأ الله الإنسان الروح بنفخة الروح بعد الطين كي يحمل تلك الأعباء الثقيلة، وفي حفل ملائكة غفير أمر الله ملائكته أن يسجدوا للإنسان المكرم الذي سيحمل العبء الثقيل ليشيد على الأرض حضارة، صلاحها صلاح الحياة وفسادها فساد الحياة. قال تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرا مِّن صَلصَٰل مِّن حَمَإ مَّسنُون ٢٨ فَإِذَا سَوَّيتُهُۥ وَنَفَختُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ فَسَجَدَ ٱلمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُم أَجمَعُونَ ٣٠﴾ [al-Hijr: 28-30]. والآية الكريمة تشير إلى أن الإنسان أصبح القطب الوجودي الذي ترنوا إليه المخلوقات جميعا، وتتحد قيمتها بقدر ما تقترب منهأو تبتعد عنه، وما جاء من سجود الملائكة لآدم وقد كانوا أشرف المخلوقات ونيلهم الرضي الإلهي، ومن امتناع إبليس من السجود ونيله بذلك اللعنة والخسران إنما هو رمز لتحول في قطبية المخلوقات لتكون في صالح هذا القادم الجديد. والإنسان في الحضارة الإنسانية جسد وروح لا يطغى جانب على آخر، فهو خلق موزون وكل تغليب لجانب على آخر سينتهي إلى اختلال في ميزان الحضارة وميل بكفتها. وما انتكست الحضارات الهالكة إلا بسبب نظرتها الشوهاء للإنسان فشوهت معها الحضارة وكانت عاقبة أمرها خسرا.

ونظر الإسلام للإنسان نظرة كلية استوعب جسده وروحه، وراعت جذبة الطين فيه وحلقت به مع أشواق روحه أيضا ولم تنظر إليه على أنه آلة يقاس باستهلاكهي المادي(Qutub, M, 1962) . ولهذا لم تنقطع قوافل الرسل تحمل أيديهم مشاعل الهداية الربانية ليقيم الإنسان حضارته على أسس قوية صحيحة، قال تعالى: ﴿رُّسُلا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيما ﴾ [al-Nisa: 175].

والإنسان هدف الحضارة وحاله يصلح بالرسالة، وعوامل بناء الحضارة وأفولها فقد استهدف القرآن الإنسان. وبالرسالة يصنع الإنسان الحضارة ولا حضارة دون الرسالة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّة وَٰحِدَة فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلكِتَٰبَ بِٱلحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱختَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱختَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعدِ مَا جَاءَتهُمُ ٱلبَيِّنَٰتُ بَغيَا بَينَهُم فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱختَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلحَقِّ بِإِذنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَٰط مُّستَقِيمٍ ﴾ [al-Baqarah: 213]. وأن القرآن دستورا للحضارة، والأمة الإسلامية التي نهضت بالحضارة هي أمة ذات مهمة رسالية إنسانية وهي أمة الشهادة والشهود الحضاري: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلنَٰكُم أُمَّة وَسَطا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدا﴾ [al-Baqarah: 143].

ومنذ بزوغ الشعاع الأول لحضارة الإسلام حملت هذا العبء الحضاري الثقيل للبشرية ونالت أوسمة الخيرية وتزينت بها وهذه الخيرية ليست خيرية مجاملات بل هي خيرية لها شروطها ومستلزماتها، قال الله تعالى: ﴿و كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [Ali Imran: 110].

ونبينا محمد صلى الله عليم وسلم حمل أمانة التكليف الثقيل في استنهاض النفس البشرية لتستقبل خير الحضارة الجديدة الوليدة وتفتح لها القلوب والعقول، والنفس الإنسانية الفائزة هي التي تلتحق بركب الحضارة الحقيقة وأما النفس البشرية الخاسرة فهي التي يمر عليها قطار الحضارة ولم تلتق بقافلته. فالإنسان هو الخليفة وباني الحضارة وهو الذي سيعمر الحياة ويحفظها تحت ضوء القرآن والسنة.

مسؤولية الإنسان في بناء الحضارة المثلي

أن القرآن لم يكن كتاب دين وعبادة، إلا من حيث أنه يحمّل الناس جميعا مسؤولية بناء الحضارة. وبيان ذلك أن محور الدين الذي ألزم الله به عباده بما فيه من نسك وعبادات إنها هو تزكية النفس البشرية، وتطهيرها مما قد يعلق بها عادة من الأدران والأوضار (al-Buti, 1981). قوله تعالى: ﴿قَد أَفلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [al-A'la: 14] وقوله أيضا: ﴿فَقُل هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخشَىٰ ١٩﴾ [al-Naziat: 18-19]. ثم قوله: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلمَصِيرُ﴾ [Fatir: 18].

وليست تزكية النفس بدورها إلا الشرط الأساسي لتحمل الإنسان مسؤولياته الحضارية بصدق وجد. الوظيفة التي يحمّلها القرآن للإنسان في الحقيقة إنما هي عمارة الأرض بمعناها الشامل العام. وهي تشمل فيما تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم، وإشادة حضارة إنسانية كاملة. وينصّ القرآن في أكثر من موطن على هذه الوظيفة التي حمّلها الإنسان، فهو يقول: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلأَرضِ وَٱستَعمَرَكُم فِيهَا﴾ [Hud: 61]، أي كلفكم بعمارتها، ويقول: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلأَرضِ خَلِيفَةٗ﴾ [al-Baqarah: 30] وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، ويقول أيضا: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱستُضعِفُواْ فِي ٱلأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةٗ وَنَجعَلَهُمُ ٱلوَٰرِثِينَ﴾ [al-Qisas: 5] ويقول: وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي ٱلأَرضِ [al-Nur: 55]، فهذه الآيات ومثلها في القرآن كثير، تنطوي على تعريف صريح بالمهمة الأساسية التي كلّف الإنسان في حياته الدنيوية هذه أن ينهض بها، ألا وهي تحقيق جامعة إنسانية فعالة، في سبيل النهوض بعمارة هذا الكوكب الأرضي العمارة الكلية الشاملة لكل ما تتسع له كلمة " العمارة" من المعاني المادية العلمية والاقتصادية، ومن هنا شرف الله الإنسان الذي قبل النهوض بهذه المهمة على الوجه الذي رسمه الله تعالى له بلقب "الخليفة" وأعطاه صفة " الإمامة" وخلع عليه خلعة التكريم. جاء الإسلام ليحمّل الإنسان مسؤولية بناء الحضارة والنهوض بعمارة هذه الأرض.

على أن من أعاجيب العلاقة التي أقامها الله بين الدين والدنيا، أن من لم يخلص دينه لله ولم يجعله في المرتبة الأولى من قصده وهواه لا يستطيع أن يخلص في خدمة أمته ولا أن يصدق في تحقيق مصالحها الدنيوية العاجلة، بل لا بد أن تكون خدمته استدلالا وهدفه أثرة وهواه تبعا لأنانيته ثم إنه يأكل ولا يشبع ويطمع دون أن يقنع (Al-Buti, 1981). ولا يمكن للمسلمين أن يعمروا الأرض ويشيدوا فوقها الحضارة ويحققوا أسباب الرخاء والرفاه الدنيوي إذا كانت الدنيا كلها ظلا زائلا في يقينهم وإذا كان جل اهتمامهم بأمر الدين والآخرة. أن هذا القرآن ما أنزل على الإنسان إلا ليزوده بهذه المعرفة، ليهديه من ورائها إلى كيفية استعماله لهذه المرافق والاستفادة منها على خير وجه، ثم ليتخذ من عمارة هذه الأرض وبنيانها الحضاري.

ويبين القرآن الوظيفة الحضارية المنوطة بالإنسان على الأرض فيقول: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِل فِي ٱلأَرضِ خَلِيفَة ﴾ [al-Baqarah: 30]، ويقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي ٱلأَرضِ كَمَا ٱستَخلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ [al-Nur: 55]، إن هذا الإنسان لمخلوق: ﴿خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ٦ يَخرُجُ مِنبَينِ ٱلصُّلبِ وَٱلتَّرَائِبِ٧﴾ [al-Talaq: 6-7] هو الإنسان الذي كرمه الله واختاره لصناعة الحضارة، قال تعالى: ﴿وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلنَٰهُم فِي ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ وَرَزَقنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلنَٰهُم عَلَىٰ كَثِير مِّمَّن خَلَقنَا تَفضِيلا﴾ [al-Isra': 70].

على أن الإنسان بالرغم من كل هذه المكانة التي أعطاها له القرآن، ومن كل الأسلحة التي زوده بها، لن يستطيع الإسهام الصحيح في فعل إيجابي وخالد إلا إذا حافظ على عبوديته لله والالتزام بمنهجه: ﴿لَقَد خَلَقنَا ٱلإِنسَٰنَ فِي أَحسَنِ تَقوِيم﴾ [al-Tin: 4]. فإذا ارتكس وسار في طريق الانحراف والضلال فإنه يهبط إلى أسفل السافلين: ﴿ثُمَّ رَدَدنَٰهُ أَسفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [al-Tin: 5]. فالحضارة التي تستهدف الإنسان وترعاه، من مرحلة النطفة إلى أن تتمتع عيونه برؤية النور، هي الحضارة التي تستمر ببقائه لأنها حضارة الإنسان والحياة، حضارة من المهد إلى السعد (Tawfiq, 2005).

الخاتمة

أن القرآن قد وضع البيان الشامل عن العناصر الكاملة في بناء الحضارة المثلى من طهارة النفس والأخلاق الكريمة والعقل السليم والعلم والعلم والمعرفة. وأن محور الدين الذي ألزم الله به عباده بما فيه من نسك وعبادات إنما هو تزكية النفس البشرية، وتطهيرها مما قد يعلق بها عادة من الأدران والأوضار، وليست تزكية النفس بدورها إلا الشرط الأساسي لتحمل الإنسان مسؤولياته الحضارية بصدق وجد.

REFERENCES

Ahmad Badwi, Ammar Tawfiq. (2005). *Muqawwamat al-hadharah wa awamil af'aliha min manzhur al-Quran al-Karim*. Risalah Majister fi Usul al-Din bi Kulliyat al-Dirasat al-Ulya fi Jamiat al-Najah al-Wataniyyah. Nablus, Falistin.

Al-Asfahani, al-Rahib. (1997). *Mu'jam mufradat alfazh al-Quran al-Karim*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Buti, Muhammad Said Ramadhan. (1981). *Manhaj al-hadharah al-insaniyyah fi al-Quran*. Beirut: Dar al-Fikr.

Al-Najar, Abd al-Majid. (2000). *Khilafat al-insan bayn al-wahy wa al-aql*. Virginia: Al-Ma'had al-Alami li al-Fikr al-Islami.

Al-Qaradhawi, Yusuf. (2002). *Al-Sunnah masdaran li al-ma'rifah wa al-hadharah*. Al-Qaherah: Dar al-Shuruq.

Al-Razi, Fakhr al-Din. (2010). *Al-Tafsir al-kabir*. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

Al-Sallabi, Ali Muhammad. (2003). *Tabsir al-mu'minin bi fiqh al-nas wa al-tamkin fi al-Quran al-Karim*. Al-Qaherah: Dar al-Fajr li al-Turath.

Al-Sha'rawi. (2013). *Tafsir al-sha'rawi*. Al-Qaherah: Dar Akhbar al-Yawm.

Al-Zamkhashri. (2013). *Al-Kasysyaf*. Beirut: Dar al-Ma'rifah.

Hamudah, Abd. Al-Hameed. (n.d). *al-Hadharah al-Arabiyyah al-Islamiyyah wa atharuha al-alami*. Al-Qaherah: Dar al-Thaqafah li al-Nashr.

Ibn Manzhur. (1993). *Lisan al-Arab*. Beirut: Dar Sadir.

Ibn Nabi, Malik. (2002). *Mushkilat al-afkar fi al-alam al-Islami*. Trans. Bassam Barakah wa Ahmad Sha'bu wa Ishraf wa Taqdim al-Muhami Umar Mesqawi. Beirut: Dar al-Fikr al-Muasir.

Khalil, Imad al-Din. (1991). *Hawl tashkil al-aql al-Muslim*. Virginia: al-Ma'had al-Alami li al-Fikr al-Islami.

Nofal, Ahmad. (1989). *Surah Yusuf dirasah tahliliyyah*. Omman: Dar al-Furqan.

Qutub, Muhammad. (1962). *Fi al-nafs wa al-mujtama'*. Al-Qaherah: Maktabah Wahbah.

Qutub, Sayyd. (2001). *Fi zhilal al-Quran*. Al-Qaherah: Dar al-Shuruq.